

الغرب ودراسة الإسلام

حضرت لمقابلتي فتاة أمريكية تدرس « الإسلام » في جامعة أكسفورد بإنجلترا ، وهي تعدّ بحثها للحصول على درجة الماجستير Master عن كتابي « الإسلام السياسي » . كانت قد اتصلت تليفونيا من أكسفورد لتحصل على موعد المقابلة التي رجت منها أن تتعرف على بعض البيانات التي تتصل بظروف كتابة الكتاب ، ورد الفعل الذي حدث فور نشره ، وأثر ما ورد فيه من آراء على الفكر الإسلامي المعاصر . ما إن جلست الفتاة أمامي حتى لاحظت أنها مضطربة ؛ وهو الأمر الذي يحدث عادة للطلاب الذي يجلس إلى أستاذه أول مرة ، أو الشعور الذي يتاب الشخص عندما يقابل مثلاً له أو نموذجاً عنده ، تلطفت في الحديث حتى ألين الموقف ، فأدرته حول أكسفورد ولندن والقاهرة ونيويورك ، حتى هدأت الطالبة فأخرجت أوراقها لتبدأ في تسجيل مايجري بيننا من حوار .

سألته ابتداء عن سبب اختيار كتابي ليكون موضوع دراستها لرسالة الماجستير ؟

فقلت : إن قسم الدراسات الإسلامية في الجامعة كان يدرس في العام الماضي (١٩٩٥ - ١٩٩٦) الفكر الإسلامي المستتير في العصر الحديث من خلال مؤلفات وآراء محمد عبده ومحمد

سعيد العشماوى ، وأنها قرأت الكتاب مع زملائها وأساتذتهم ،
فاختارته - بتزكية أحدهم - ليكون موضوع رسالتها . لاحظت
أنها تتكلم العربية الفصحى بسلاسة فسألتها عن اللغة التى قرأت
بها الكتاب ، وأجابت بأنها قرأته فى نصه العربى ثم قرأت
الترجمتين الإنجليزية والفرنسية .

قلت لها حسناً ، وما هى أسئلتك ؟

قالت : إن أول سؤال لها يتحصل فى أنها قرأت فى دراسة
نُشرت عنى فى لندن ما مفاده أنى صُدمت للهجوم الذى حدث
على فور نشر الكتاب سنة ١٩٨٨ ، وأننى لم أكن أتوقع أن يكون
المهجوم بهذه الصورة ، فلماذا حدث ذلك من جانبى ؟

قلت إننى عُينت معاوناً للنياحة العامة فور تخرجى فى كلية
الحقوق ، ثم عملت طوال حياتى فى السلك القضائى بكل
درجاته ، وكيلاً للنياحة ، وقاضياً ، ورئيساً للنياحة ، ومستشاراً ،
ورئيساً للمحاكم العليا ، فريت ونُشئت عملياً فى أحضان التقاليد
الرفيعة النظيفة ، والكلمات المهذبة المحسوبة ، ذلك أن كل العاملين
فى القضاء ، ومعه ، يتصرفون وفق لياقات معينة وحسابات خاصة
وعبارات مرسومة ، يتداولها رجال القضاء ، ومن يخاطبونهم من
المحاميين ورجال الشرطة ، والأطباء الشرعيين والخبراء وموظفى
المحاكم ، بل إن بعض المترددين على المحاكم من الجمهور ، وعتاة
المجرمين ، تعلموا مفردات هذا الخطاب وأسلوب أدائه ، لذلك

فلقد كنت أتوقع أن يكون أى رد على كتاباتى مهذبا ، يُقدّم فى شكل علمى ويصاغ فى بيان أدبى ويُفرغ فى لياقات طبيعية ، شأنه فى ذلك شأن صحف الطعون على الأحكام بالاستئناف أو بالنقض ، فهى تنعى ما تنعاه على الحكم ، لا على هيئة المحكمة ، ولا على شخص القاضى أو القضاة . وهى لا تسترسل فى عبارات إنشائية ، ولا تكتب ما لم يرد فى الحكم ، ولا تقدم فهم الطاعن لما جاء فى الأسباب ، بل إنها تحرّر بأسلوب علمى قضائى يورد نصا ، وبين قوسين ، ما ورد فى الحكم بألفاظه ، وفى سياقه ، ثم يفنده وينقده ، بالدليل القانونى الموثق بالمراجع والأحكام القضائية ، وبالسند الموضوعى الثابت قطعاً فى الأوراق . هذا ما كنت أتوقعه فى الرد على ، ولكنى لم أجده ولا وجدت شيئا منه ، لكنى فوجئت بالسباب والتحريف والاتهام مما لاحظته كثير من الكتاب فى مصر ، وخارجها ، حتى كتب بعضهم يقول إن ما وجه إلى لم يكن نقداً بل كان مشتمة .

قالت الطالبة : وهل فيما وجه إليك من نقد شيئا استفدت منه ؟

قلت : مطلقاً ، وهل يستفيد المفكر من تهجم عليه يُحرّف أقواله ويضيف آراءه ويكيل له السباب ويتهمه زورا بالكفر والإلحاد ؟ أقول لك شيئا لقد تعودت وأنا قاض أن أبحث عن صحف استئناف الأحكام التى كنت أصدرها فى بعض القضايا المهمة ، بقصد التعرف على وجهة نظر الطاعن ، وبعضهم محامون كبار أجلاء ،

لعلّي أستفيد من قصور ورد في الحكم أو نقص جاء في الأسباب (الحثيات) ، وقد استفدت من بعض الطعون ، فعمدت بعد ذلك في كتاباتي لأسباب (حيثيات) الأحكام أن أورد سلفاً على مايمكن أن يوجه إلى الحكم من مطاعن ، وهو الأمر الذي دعا بعض كبار المحامين في مصر إلى أن يقولوا لي إن الطعن على الأحكام الصادرة مني مهمة شاقة ، وقد تكون بلا جدوى . هذا هو أسلوبى القضائي الذي عُرِف عني وشهر في أوساط القضاء والمحاماة ، خاصة وأن الأحكام تعلن وتقرأ وتداول وتنتشر ، بحيث يكون الرأي العام عنها أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحقيقة . ولاشك أنني أفدت من هذا المنهج في كتابة كسبي ، بما ساعد في تفرغ أي نقد من كل مضمون جدوى ، وانزلق به من عمل موضوعي إلى ذم شخصي ، كما انحدر به من جدل علمي إلى سباب وشتم .

قالت الطالبة : لقد لاحظنا ذلك ، أساتذة وطلاباً ، ونحن ندرس أعمالك في العام الماضي ونتابع ما وُجِه إليها من نقد ؛ لكننا عللناه بأسباب أخرى ؛ منها ضعف ملكة النقد عمومًا في العالم العربي ، واتجاه مايسمى بالنقد إلى أن يكون مجاملة أو مخاصمة ، هذا بالإضافة إلى العامل الشخصي لدى من يكتبون في نفس المجال ومايمكن أن يكون لديهم من غيرة ذاتية من شخصك ومن أعمالك ، فضلاً عن أنك وجهت نقداً صائباً واضحاً إلى أفكار جماعات الإسلام السياسي فقوضت كل أبنيتها ، من داخل الإسلام ذاته وعلى أرضيته ، وهذا مما يدفع البعض إلى مهاجمتك بعنف ،

كضرب من الشغل Business . ثم أضافت : لكننا قدرنا تماماً التفاتك عن الرد عن المسباب والشئام ومايدخل فى حساب الشغل (البيزنيس Business) واستمرارك فى عملك بلا تردد ولا وجل ، اتباعا للمثل الذى يقول بالفرنسية :

Les chiens aboient, la caravane passe.

أى أن الكلاب تعوى لكن القافلة تسير .

قالت الطالبة بعد ذلك : إن كتاباتك علمية ، وجمهورها من ثم لن يكون عريضا فمن هم الذين تأثروا بأعمالك ، ولماذا لم تحاول الاتصال بالجماهير للتأثير فيها ؟ .

قلت : هذا السؤال هو جوهر الموضوع ، إن ما يحتاج إليه المسلمون حقيقة هو تحديث العقل المسلم وتجديد الفكر الإسلامى ، وهو أمر لابد أن يحدث من خلال جهد فكرى منظم ومتكامل ، لا يمكن بطبيعته ومنهجه وأسلوبه أن يتحول إلى خطاب للعامة ؛ ذلك بأن عوام الناس - فى كل شريعة - لا يتعاملون بالعقل ولا يتعلقون بالفكر ، لكنهم يتعلمون بالسماع ، ويتأثرون بالإشاعات ، وينقادون بالتراث الشعبى (الفولكلور) الذى يتخالط ببعض المظاهر المعقدية أو يترابط ببعض الشعائر الدينية ، وكثيراً ما يفعل هؤلاء بشخصية يلحقونها بالتدين خطأ ؛ لكنهم لا يتفهمون الفكر الواضح المنظم ، ولا يتأثرون بالآراء الحقيقية الصادقة مهما كانت قيمتها ؛ فهم فى الواقع ، يتعبدون برموز مشخصة ،

ولا يُعنون بالأفكار والآراء . لكن تحديث العقل وتجديد الفكر لابد أن يؤثر على المفاهيم الاجتماعية والمضامين التراثية فيؤدى مع الوقت إلى تغيير كامل فى المناخ والنظام الذى يتفاعل به العامة من الناس ، بما يؤدى إلى تغيير شامل إلى الأرفع والأنفع ، فى العقل والفعل الإسلامى على كل مستوياته ، فالمسألة بهذا المفهوم مسألة وقت . التحديث الفكرى والتجديد العقلى يحتاج مدة أطول ، لكن نجاحه أفضل وأؤكد ، أمّا ما عدا ذلك فسوف يكون مجرد ترديد قولى أو كتابى لما يشكو المسلمون من آثاره السلبية ، وما يريدون تجديده وتحديثه ؛ أو يكون عملاً سياسياً يحول العقيدة إلى أيديولوجيا حين يستغل العاطفة الدينية لأهداف سياسية وأغراض حزبية ، وهو أمر يضرّ المسلمين ولا يفيدهم ، ويضيف حركة أخرى إلى مجموع الحركات التى تزايدت على مدى التاريخ الإسلامى ، تكون مجرد إضافة كمية بغير أى تغييرات كيفية . وعلى أية حال ، فإن تحديث الفكر الإسلامى وتجديد العقل المسلم هو فى الوقت الراهن ليس عملاً محلياً أو إقليمياً ، وليس اتجاهًا فردياً أو جماعياً ، بل إنه فى واقع الأمر عملاً إنسانياً عاماً يتجه إلى البشرية كلها ويهدف إلى الواقع الدولى بأسره ، لأسباب كثيرة منها تشابك العلاقات وتداخل المصالح ووجود المسلمين فى مناطق متعددة بكافة أنحاء المعمورة . ودليل فاعلية عمل الذى يتفهم هذا المنطق ، هو اتجاهك أنت ، الأمريكية التى تدرس فى أكسفورد ،

إلى تحرير رسالة ماجستير عن كتاب الإسلام السياسى ، ودراسة أعمالى فى جامعتكم خلال العام الماضى ، ووجود تلاميذ ودارسين لأعمالى فى كافة جامعات العالم ، منهم حوالى سبعة أشخاص يعدون عنها رسائل دكتوراه Ph . D .

قالت الطالبة : ألم تحاول قط أن تدخل بأعمالك حلبة السياسة وأن تتصل بال جماهير الشعبية فى كافة أنحاء العالم العربى ؟

قلت : لى فى ذلك تجربة ، وتقدير ، أعرضه لأول مرة فى مجال أكاديمى . فى سنة ١٩٦٨ عندما صدرت الطبعة الأولى من كتابى « ضمير العصر » اتصل بى رجل فاضل كان من أعلام السياسة فى عهد ما قبل حركة الجيش (يوليو ١٩٥٢) ثم تحول إلى الأدب والتصوف وتفرغ لهما ، قال لى إنه وصّحبه (ولم أعرف آنذاك من هم) قرءوا الكتاب ، وأنه يرغب فى لقاءى للتحديث بشأنه . حضر إلى منزلى وجلسنا نتحدث فى لقاء طويل ، انتهى بأن قال لى إن له مجموعات من الناس فى القاهرة والاسكندرية وأسوان . تحمل أفكارًا صوفية دينية ، وجدت فى كتابى ذاك بلورة لها وتعبيرًا عنها ، وأنهم جميعًا يبحثون عن زعيم روحى لهم ورائد دينى يتبعونه ، وأنهم بعد ما قرءوا الكتاب فوضوه فى أن يقابلنى ويحدثنى ليستبّر أغوارى ويستجلى أهدافى ، وأنه بعد حديثه معى يبايعنى زعيمًا ورائدًا لهذه المجموعات التى تبحث عن مثلى منذ زمن (كما فى مسرحية لويجى بيراندللو : ست شخصيات

تبحث عن مؤلف) . أصغيت له بهدوء ولم أعده بشيء لكنى
 رأيته متعجلاً فى أن ألتقى بالآخرين وأن أقبل عرضهم على ، تحقيقاً
 لنبوءة كان قد ذكرها له فلكى من السودان . قابلت مجموعات
 من هؤلاء الناس فى القاهرة وفى الاسكندرية - رغم خطورة مثل
 هذا العمل سنة ١٩٦٨ - وأداروا معى حوارات انتهت بأن شُغفوا
 بى وبآرائى وانفعلوا بمبايعتى زعيماً لهم ورائداً لجماعتهم . بدأت
 هذه المبايعة واستمرت بتقبيل يدي . والائتمام بى فى الصلاة ،
 والتحلّى حولى عند الحديث ، والصمت الكامل عندما أقول أو
 أفعل شيئاً ، وإبداء السمع والطاعة لتحقيق أى رغبة لى أو طلب
 مهما كان ؛ وكلما زاد ذلك منهم كان يكثر خوفى ، إلى أن
 حدث من بعضهم - وأحدهم أستاذ فى الجامعة - أن انكبوا على
 قدمى يقبلونها مع إبداء آلاء التقدير وآيات التوقير ، فبلغ خوفى
 منتهاه . ربما كان غيرى يسعد بما حدث ويستمر ويستثمره
 لصالحه ولتحقيق أغراض يتطلع إليها الباحثون عن زعامة ، خاصة
 وقد كنت فى أوائل الثلاثينيات من عمرى . بعد تفكير عميق ،
 أدركت أنى سوف أفسد طبيعتى بهذه المجموعات التى تسعى إلى
 أن تجعل منى سيّداً مطلقاً فى كل حياتهم وما يملكون ، وهو
 أمر لا بد أن يجعل منى شيخ طريقة أو يحولنى إلى رجل سياسة ؛
 مع أن رسالتى الحقيقية أن أكون مفكراً إنسانياً ومصلحاً دينياً .
 سحبت نفسى من بينهم بهدوء ، وانطويت على حياتى وقد أزمعت
 ألا أعيد التجربة أبداً . ظلوا يطاردوننى بالولاء وبالمبايعات والإغراءات

من مجموعات القاهرة والاسكندرية ، وفى أسوان عندما عينت رئيساً لنياباتها العامة سنة ١٩٧٢ ، لكنى اعتذرت بلباقة ، وأسفت لما لحق بهم من خيبة أمل ، ثم حددت طريقى منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

تركنتى الطالبة ورأسى يموج بدوامات من الأفكار .

منذ القرن الثامن عشر بدأ كثير من علماء الغرب فى دراسة الإسلام من شتى النواحي ومختلف الموضوعات . كان بعضهم موضوعياً فى دراسته ، وكان بعض آخر غير موضوعى . عمل عدد منهم على انفراد وفى استقلالية ، وعمل عدد آخر فى اتصال مع حكوماتهم ولأهداف سياسية ؛ إذ كانوا يعدون عملهم هذا عوناً لشعوبهم ودعماً لحكوماتهم . ومن أعمال هؤلاء المستشرقين نشأ اتجاه عريض ؛ يوافق الم sharb الإسلامية أحياناً ، ويعارض هذه الم sharb أحياناً أخرى ، ذلك بأن هؤلاء المستشرقين لم يكتبوا ، ويستحيل أن يكتبوا بكل مفاهيم المسلمين وتراثهم ومعتقداتهم وثقافتهم ، ماداموا غير مسلمين لهم تراثهم الخاص ومعتقداتهم الذاتية وثقافتهم المختلفة ، والقول بغير ذلك يعنى أن لا يكتب عن الإسلام أو المسلمين إلا مسلم ، ولا يكتب عن اليهود المسيحية والمسيحيين إلا مسيحي ، ولا يكتب عن اليهودية واليهود إلا يهودى .. وهكذا مما لم يفعله ولا يفعله المسلمون أنفسهم ،

وبما يقيم تفاضلا بين الثقافات ويزرع حوائل بين الناس ، لا مجال حقيقيا لها فى العصر الحديث . ونتيجة لعدم اتفاق ماكتبه بعض المستشرقين مع مشارب المسلمين ، فقد تم رفضه كلية ، وتوجيه الاتهامات العنيفة إليه ؛ ومع هذا فقد استمرت دراسات الإسلام تنمو وتنتشر فى العالم ، غربا وشرقا . وعندما زرت الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٧٩ حصرت إلى الفندق الذى كنت أقيم فيه بمدينة سان بيتربرج (ليننجراد) مستشقة روسية مشهورة ، تجيد العربية وتدرس الإسلام ، ودعتنى إلى زيارة معهد الدراسات الإسلامية الذى ترأسه ، حيث وجدت مجموعة من الأساتذة الشبان دارسى العربية والإسلامية ، بصورة أدهشتنى ، وقد تابعوا محاضرتى باهتمام شديد ، وناقشونى فيها مناقشة دقيقة .

ومنذ تزايد قد حركات الإسلام السياسى ، وتعالى فكر اتجاهات الإسلام المستنيرة التفتت الجامعات ومراكز البحوث وأوعية التفكير think tanks ، فى كافة أنحاء العالم إلى دراسة الإسلام ، قديما وحديثا ، عقيدة وشريعة وفكرًا وفلسفة وتاريخًا وسياسة .. إلى آخر ذلك ، وكانت أول دراسة علمية عن جماعة الإخوان المسلمين دراسة قام بها الأمريكى جون ميتشل للحصول على درجة الدكتوراة ، (ومع أنه بادرى التعاطف مع هذه الجماعة فقد ذكر حقائق موثقة تدينها وتعرى قاداتها) . يعنى ذلك أن دراسة الفكر

الإسلامى الحديث ليست مقصورة على دراسة اتجاه واحد - هو الاتجاه المستنير - ولا هى عمل يعطى الفرصة لواحد أو أكثر من المستنيرين ، لكنها دراسة تتناول كافة الاتجاهات الفعالة ومختلف الأعمال المطروحة . وحينما تقام مؤتمرات يكون الإسلام أحد موضوعاتها فإنها تدعو إليها بعض المستنيرين كما تدعو غيرهم من الأيديولوجيين (جماعات الإسلام السياسى) . لكن الذى حدث أنه بعد عدة دراسات ، وعدت مؤتمرات ، وعدة مناقشات ، لاحظ الدارسون من غير المسلمين أن كتاب ودعائى اتجاه الإسلام السياسى لا يقدمون فكراً ولا فقهاً ، بل شعارات غير مترابطة وغير ممتعة ، وصياغات لفظية تصبح بلا أى معنى عند التحليل العلمى ، كما تكون بغير مفهوم عند ترجمتها إلى لغة أجنبية (كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية أو الأسبانية أو غيرها) ، ومن ثم فقد حسموا الأمر بحيث يتولوا دراسة حركات الإسلام السياسى ، فى مجموعها ، وكاتجاه حركى يقوم أساساً على عمل الجماعات ؛ ودراسة الفكر المستنير من خلال آراء وأفكار رائد بعد رائد من قادة هذا الفكر . ولم يفهم ذلك تيار الإسلام السياسى ، وربما نفّس كتابهم ودعائيوهم على غيرهم ذلك الاهتمام بفكرهم والعناية بدراسته ، ومن ثم جنحوا إلى التشنيع على رواد التنوير ، يزعمون أن الغرب يُعنى بدراسة أعمال الفكر الإسلامى المستنير ، وأفكارى بالذات ، كنوع من المساندة

أو ضرب من المجاملة ؛ وهو أمر مخطئ تمامًا ، فالذى يعرف الغرب جيدًا يعلم أن الناس فيه لا تجامل أبداً ، لا على المستوى السياسى ولا على المستوى الاقتصادى ؛ وبطبيعة الحال ليس على المستوى العلمى ، وإذا جاملت جامعة مثلاً ، فكيف نجتمع على المجاملة جامعات محترمة جداً وفى بلاد متعددة مثل هارفارد وبرنستون وكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، والسوربون بفرنسا ، ولیدن وأمستردام بهولندا ، وروما بإيطاليا ، وأوكسفورد فى بريطانيا ، وغيرها وغيرها . إن هذه الجامعات حين تهتم بفكر معين فلأنها ترى فيه منهجاً علمياً ، ومسلکاً عقلياً ، ودراسة جادة ، وكتابة موعدة ؛ وهى لذلك لا تعنى باهتمامات متناثرة ، وكتابات متضاربة ، ومقالات مبابية ، ومطبوعات شتامة .

الغرب والشرق يدرس الإسلام والمسلمين بجدية وتتابع وانتظام ، بينما لا يوجد بين المصريين ، والعرب والمسلمين من يضاهيهم فى هذه الدراسة أو يواكبهم فيها أو يتابعهم فيما يفعلون ، فما الذى سوف يحدث فى المستقبل ؟ هل يأتى وقت تكون فيه كل دراسات جادة ، محايدة أو معادية ، عن الإسلام والمسلمين ، وعن مصر والشرق الأوسط ، مركزة فى الغرب قادمة إلينا منه ، لتكون مرجعاً لنا ودليلاً ؟ ليس الغرب فقط ، بل وإسرائيل أيضاً . لقد قرأت ترجمة إنجليزية لرسالة دكتوراه قدمها دارس إسرائيلى لإحدى جامعاتها موضوعها « أثر العمالة المصرية فى البلاد الخليجية على

الاقتصاد المصرى» وقرأت ترجمات إنجليزية أيضا لرسالتى ماجستير
لباحثين إسرائيليين عن « دور المدرسة فى العهد المملوكى فى
مصر » ، « إرهابات الاشتراكية فى مصر قبل قرارات ١٩٦١ » ،
هذا فى الوقت الذى لا يقرأ فيه الشباب المصرى ، أو العربى ،
بجدية وتكامل واستمرارية ، وإن قرأ ففى موضوعات عارضة أو
سطحية أو مسلية أو غير جدية وغير علمية . وأغلب شباب
مصر ، والعرب والمسلمين ، لم يقرأوا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم ،
ولا يعرفون طبيعة الأحاديث النبوية ومدى حجيتها ، ولا يستطيعون
التمييز بين الشريعة والفقه أو بين الدين والفكر الدينى .. وهكذا ،
فبينما يدرسنا غير المسلمين بوعى واهتمام وعلم واستمرارية ،
نكتفى نحن بالاستهلاك الترفى والتعلق بالشكليات والتمسك
بالهامشيات وتقليد للغير وإعلان الحرب على كل من يعمل أو
يجد ؛ دون أن نراجع أنفسنا أو نتساءل : من الذى يكون له
الحكم والقيادة فى العالم خلال القرون القادمة ؟ من يعلم ويعمل
أم من يجهل ولا يعمل ؟

فى التاريخ الإسلامى كثير جدا جدا من المذاهب الفقهية ،
والمدارس الفكرية والاتجاهات الحركية ، ومن يقرأ - على سبيل
المثال - كتاب « مقالات الإسلاميين » تأليف أبى الحسن على بن
إسماعيل الأشعرى ٨٧٣ - ٩٤١ م ، (وهو يقصد بالإسلاميين
أولئك المنتسبين إلى الإسلام مع كون آرائهم باطلة وأفهامهم فاسدة)
يدهش من كثرة هذه المقالات - أى المذاهب - منذ بدأ التاريخ

الإسلامي ، فمنها الخوارج بفروعها التي بقي منها حتى الآن
الأباضية ، والشيعة الغالية (أى المغالية) ، والرافضة (ومنهم
القرامطة) ، والمرجئة ، والمعتزلة (وقد كان الأشعرى منهم ثم
خالفهم وخرج عليهم) ، والجهمية .. وغيرهم وغيرهم كثير ،
بل إن كل مقالة من هذه المقالات تفسخت إلى فروع لها وخروج
عليها ومعارضة لها ونفور منها .. وهكذا ..

وفي العصر الحالي ، أظهر الشيعة الإمامية (فى إيران) مقالاتهم
التي كانت خافية على أغلب أهل السنة ومنها ما قاله الشيخ الخميني
علنا من أن محمداً ﷺ لم يكمل رسالته ، ومايسبون به أبا بكر
الصديق والفاروق عمر بن الخطاب ؛ ومايدعونه من وجود
ما يسمى « مصحف فاطمة » الذي استمر به الوحي على فاطمة
الزهراء بعد وفاة النبي ، وكان كاتبها فيه على بن أبي طالب ،
هذا فضلا عن أنهم يجيزون زواج المتعة التي يرى أهل السنة
تحريمه .. وهكذا ..

وفي مصر والعالم العربى كثير من البدع الدخيلة على الإسلام ،
معنى ومبنى ، روحاً ونصاً ، والاستطراد فى تعدادها قد لا يكون
مناسبا للسياق .

متى كان الأمر كذلك فلم لايتجه كتاب ودعائيو الإسلام
السياسى إلى التصدى للمقالات المسيئة للإسلام ذاته ، أو إلى
ما يذيعه بعض الشيعة الإمامية عن عدم إكمال النبي ﷺ لرسالته ،

وجود قرآن غير القرآن ، ومصحف سوى المصحف ؛ أو أن يفتقروا عملهم على تنقية الممارسات الإسلامية من البدع والمضلالات ، أو أن يفتقدوا أقاويل الإرهابيين وينددوا بأعمالهم .. إلى آخر هذه الجهود التي لا بد منها لتصحيح صورة الإسلام في الداخل والخارج ، وتجديد الفكر الإسلامي بصورة تجعله فعالاً في العصر الحديث وباعثاً للروح في المسلمين وللصدق في ممارساتهم .. لم لا يفعلون ذلك ، ويترصدون فقط لفكر أو أكثر من مفكرى الإسلام المستيرين ؟ هل مثل هذا الترصد ، والادعاء بالباطل ، والرمى بالكاذب ، أمر مفيد للإسلام أم لهم شخصياً ؟ وهل يؤثر عملهم ، مهما طال وزاد ، على حركة التاريخ فيقفها ، أم على دورة الفكر الإنساني فيقلبها ، أم أنه فقط يبدد جهود المسلمين ويشتت عقول الناس ؟

الواقع الدولى فى تغيير وتبديل ليصل إلى أوضاع غير معرفة وغير معهودة من قبل ، حيث تفسح سلطات الحكم ومراكز القرار ومجالس التشريع المحلية ، فى كل بلاد العالم ، مكاناً فيها أو مجالاً بها لهيئات ومؤسسات ومنظمات دولية أو عالمية أو ذات نشاط شامل Global (مما يترجم خطأ إلى لفظ كوني) ، مثل الأمم المتحدة ومنظماتها الخاصة مجلس الأمن واليونسكو والفاو ، وصندوق النقد الدولى .. وغيرها ، والمصارف الدولية والشركات العالمية والمتعددة الجنسيات Multi Nationals ، ومراكز الاتصالات الدولية ، والمنظمات غير الحكومية ذات الطابع العالمى ، وبعض الجامعات ومعاهد البحوث ومراكز الدراسات وأوعية التفكير

think tanks وما إلى هذا ؛ ذلك بأن هذه الجهات تؤثر بقراراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبالبحوث والدراسات والمؤتمرات ، على أغلب ما يصدر عن صنّاع القرار في العالم أجمع من أعمال ، وهو أمر يغير من مبدأ السيادة المحلية شيئاً فشيئاً ليضع إلى جانبه اعتبارات واتجاهات وملاءمات الهيئات والمؤسسات والمنظمات الدولية والعالمية وذات النشاط الشامل ، مما لا يمكن تجنبه أو إهماله أو عدم إدخاله في الحسبان . ويعنى ذلك ان الدراسات التي يقوم بها شباب في جامعات العالم عن الإسلام ، وعن الشرق الأوسط ، وعن مصر ، سوف يكون لها أثرها الفعال على صانعي القرارات ، سواء كان ذلك على المستوى العالمى أو الإقليمى أو المحلى ، بصفة مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وإذا كان شبابنا فى غيبة عن هذا ، كما أن كتاب ودعائى الإسلام السياسى يزيغون الناس عن هذا المفهوم ويلبلون الأفكار كى لا تستوعب هذا الإدراك ، فإن النتيجة المحتومة أننا نلقى بمصائرنا فى أيدي الغير ، ونرمى مقاديرنا إلى أجناب عنا ، ولا نعمل فى وعى وتخطيط وفاعلية على إدراك الآفاق العالمية الجديدة والأوضاع الدولية البازغة ، وعلى الإسهام فيها بنصيب يجعل لنا جانباً أو حتى كلمة فى اتخاذ القرارات العالمية ، وصياغة البحوث الدولية التى تمتد إلى كل مناشط الناس وكل منافذ الحياة - على مستوى المعمورة - لتؤثر فيها وتشكل واقعها وتحدد مستقبلها .

هذا نذير ، فهل ندركه بوعى أم نهمله بغفلة ،

على قرارانا سوف يتوقف مصيرنا .